ثقافة

صباح القصيد

ودّع الصبرَ محبّ ودّعك ... ذائع مِن سرّه ما استودَعك
يقرع السنّ على أن لم يكن ... زادَ في تلك الخطى إذ شيّعك
يا أَخا البدرِ سناء وسنى ... حفظ الله زماناً أطلَعك

ابن زيدون

كان شارلز ديكنز رجل عصره. وقد كانت له علاقة بالصحافة بصفة عامة وبصحيفة التايمز خاصة. فهو قد قرأها من دون شك، واستخلص عناصر استخدمها في عمله في مجال الرواية مما قرأه على صفحاتها.

كما كتب العديد من الرسائل في بريد القراء تناولت عقوبة الاعدام، ومخاطر السفر بالقطارات، بل وحتى عن حالته الصحية. والأغرب من ذلك انه كان يراسل الصحيفة من دون الاشارة الى هويته الحقيقية، وكمراسل حر.

ديكنز.. حين يخرج الروائي من معطف الصحافي

بين ماكنتاير - التايمز

قلم ديكنز كان لا يتوقف عن الكتابة، فقد أصدر أكثر من عشر روايات كبرى ذات أهمية، بالاضافة الى أعمال قصصية أقصر، وكتب رحلات وتاريخ للأطفال، وعدد من الرسائل يكفي لملء 12 مجلدا. ولكنه كان يعتبر الكتابة للصحافة حبّه وشغفه طوال حياته، حيث كتب في الصحافة اليومية والاسبوعية والشهرية بصفته كاتبا ومسؤولا عن التحرير.

رائع.. وعادي

وقد بدأ ديكنز يبيع ريبورتاجاته الصحفية وهو في الثانية عشرة من عمره.. واستمر يعمل في مجال الصحافة حتى وفاته في الثامنة والخمسين.. وبعض ما كتب يعد رائعا والبعض الآخر أكثر من عادي. بيد ان ديكنز الروائي خرج من معطف ديكنز الصحافي.

والنظرية القائلة بأنه قد يكون عمل في صحيفة «التايمز» ظهرت لأول مرة في عام 1933 في مقالة أشارت الى أن عددا من الأعمال المنشورة في الصحيفة قبل قرن مضى تظهر فيها بصمات ديكنز بكل وضوح. ففي عام 1833 شرع ديكنز الذي كان في الثانية والعشرين من عمره في البحث عن وظيفة ثابتة في إحدى الصحف الكبرى، في الوقت الذي كان يعمل فيه في تغطية البرلمان بصحيفة «ميرور اوف بارليامنت». وكان والده يكتب في «التايمز»، وخاله جون هنري بارو كان يعمل في الصحيفة ذاتها. وحاول بارو ان يحصل على وظيفة لابن اخته فيها، ولكن لم تكن هنالك وظيفة شاغرة.

وبالرغم من ذلك، ظلّ ديكنز يعمل مكان خاله عطلة نهاية الاسبوع، وعندما لا تكون هنالك جلسات في البرلمان، ولم يكن الصحافيون يوقعون على أعمالهم في تلك الايام، غير ان تقريرا حول قضية تنظرها المحاكم نشر في الصحيفة في 29 يوليو 1833، قد يكون منقولا من إحدى روايات ديكنز. فقد كتب بلغة أدبية وصفية بديعة. وهنالك أمثلة كثيرة في الصحيفة على ذلك.

ويقول كلير توملين مؤلفة سيرة شارلز ديكنز التي نشرت في نوفمبر الماضي، إن تلك الفقرات تبدو أنها كتبت بأسلوب ديكنز ويظهر ذلك بوضوح فيها.

مساعد مبتدئ

وفي عام 1933 تساءلت صحيفة «التايمز» «هل عمل ديكنز كمساعد مبتدئ لدى جون بارو؟» وكتب والتر ديكستر رئيس تحرير مجلة «ذي ديكنزيان» الى الصحيفة مؤكدا ان هنالك «احتمالا كبيرا» بأن يكون ديكنز قد عمل في «التايمز». حيث ان «هنالك أسابيع كثيرة لا يكون فيها البرلمان منعقدا خلال العام ولا يكون لديه عمل يقوم به في صحيفته التي تغطي أخبار البرلمان» وبحلول اغسطس 1834 وجد ديكنز وظيفة كمحرر للشؤون السياسية في صحيفة «مورننغ كورنيكال» ووجد نفسه يدخل في منافسات مع زملائه في «التايمز».

وفي عام 1835 ركب ديكنز والصحافي جيمس دينيسون من «التايمز» كل في عربة تجرها الخيل بعد تغطية خطبة القيت في مدينة اكستر عائدين إلى لندن. وكانا يكتبان نص الخطبة من المفكرة التي كتبا فيها الخطبة بطريقة الاختزال، وهما في طريق العودة في سباق لايصال ذلك النبأ كل قبل زميله. ووصف ديكنز يظهر مدى شراسة المنافسة في ذلك الوقت، كما هي الآن «إنهم (اي التايمز) متقدمون دقيقتين أو ثلاث دقائق. وقد قدمت رشوة لسائقي المركبة واصبحنا معهم نسير جنب إلى جنب.. وقد صدرنا أولاً وقدمنا تغطية أطول مقارنة بالصحيفة الاخرى. وكانت المهمة بأكملها ناجحة».

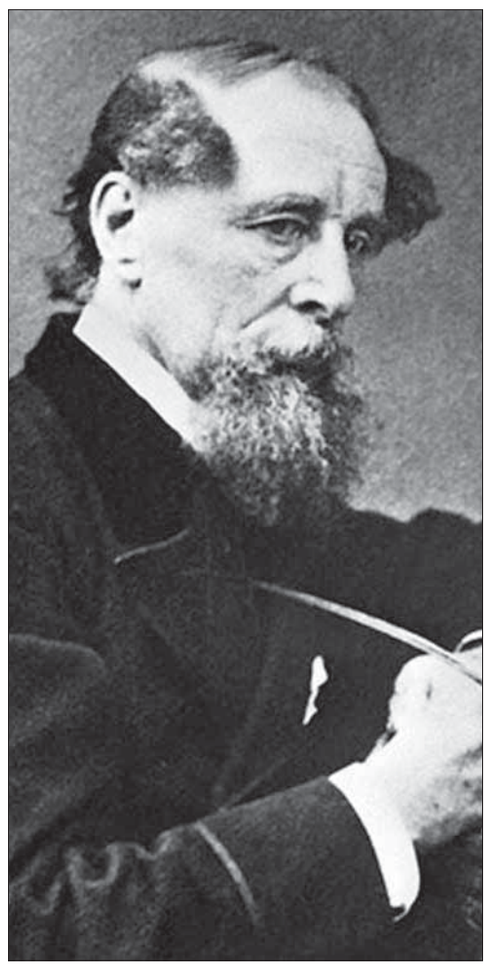

● شارلز ديكنز

ظل يكتب رسائل طويلة للصحف لإجراء إصلاحات اجتماعية وتشريعية

أفكاره الروائية ظلت تعتمد على ما كان يتابعه في الصحف

حب دائم

ولم يتخل ديكنز عن حبه للصحافة على الرغم من رفض «التايمز عرض السلسلة الثانية من اسكتشاته في عام 1835. وقد ابدى مسؤولو التحرير «الاسف على عدم قدرتهم على ملاحظة الكتاب وطلبت من المدعو سي. دي (اي شارلز ديكنز) الحضور إلى مكاتب الصحيفة».

وبعد ان اصبح ديكنز كاتبا مشهورا كان غالبا ما يكتب للصحيفة رسائل طويلة ومفصلة يحث فيها على إجراء اصلاحات اجتماعية وتشريعية في شكل حملة في صفحات الرأي. وقد عبر عن شعوره بالفزع عندما شاهد عملية اعدام بالشنق في عام 1849 وكتب فوراً إلى «التايمز» حول تلك الحادثة، وقرر «تحويل تلك التجربة المفزعة إلى عمل يعود بالخير العام».

وفي حادثة اخرى اخف وطأة كتب إلى الصحيفة لنفي خبر نشر فيها قائلاً «ان هنالك خطأ غير مقصود من دون شك» في اشارة الى خبر ذكر إنه يعاني المرض، وان وضعه الصحي حرج بل ومشرف على الموت. واضاف «ارجو ان تسمحوا لي بالقول ان ذلك الخبر لا اساس له البتة، وانني لم اكن في حالة صحية أفضل مما انا عليه الآن في حياتي». وفي الواقع فانه كان في حالة صحية حرجة بعد اصابته بسكتة دماغية، وهي التي توفي بعد ثلاث سنوات من إصابته بها.

رسائل خاصة

ومن بين الرسائل التي نشرتها له الصحيفة، رسالة يتناول فيها «مخاطر السفر بالقطارات» وكان قد كتبها بعد سفره بالقطار من ليستر إلى بيدفورد، وقد شعر بالانزعاج من «القيادة الهوجاء للقطار، والاهتزاز العنيف لعرباته. لقد ركبت القطار في ظروف جيدة ولكن لم اشعر بمثل هذا الاهتزاز ودفعي من جانب إلى جانب كما في هذا القطار كما لم اشعر البتة بمثل ذلك الخطر».

وقد كان ديكنز محقاً في شعوره بالقلق، فقبل عامين من ذلك كان قد تعرض لحادثة اصطدام قطار، راح ضحيته عشرة اشخاص وجرح اربعون.

صحافي وقارئ

وكان ديكنز قد شارك في الكتابة كصحافي وكقارئ يبعث برسائله إلى التايمز وان هنالك بعض آثار عمله الصحفي تظهر في رواياته. فالشخصيات الروائية واحداث الرواية عادة ما تأتي من عدة مصادر أو من خيال المؤلف بالكامل. ولكن بعض أفكار ديكنز كان مصدرها من دون شك مما قرأه في الصحف ومن بينها التايمز.

ففي عام 1850 نشرت التايمز قضية جورج روبي، وهو كناس شوارع في الرابعة عشرة من عمره، كان قد طلب منه الادلاء بشهادته في بلدية مدينة لندن. وقد تحوّل جهله إلى فضيحة. اذ لم يكن روبي يعرف أي شيء عن الخالق أو الشيطان أو الحقيقة.

فقد طرح عليه سؤال «ماذا تعرف ايها الرجل المسكين؟» وردّ بقوله «أعرف كيف أكنس الشوارع». وهناك اعتقاد شائع بان جورج روبي يعتبر النموذج الذي استوحى منه شخصية جو كناّس الشوارع في رواية «بليك هاوس» التي نشرت بعد عامين من ذلك، وهي شخصية صبي متشرد تجده «دائم الشجار في تقاطع الشارع الذي يعمل فيه وسط الوحل وعجلات المركبات والاحصنة والكرابيج، والمظلات وهو يحصل على مبلغ زهيد للغاية».

موت بسيط

وربما كان آخر ما كتبه ديكنز في التايمز وصيته «أوجه بشدة ان يتم دفني بطريقة غير مكلفة بعيدة عن المباهاة والتكلف، وان تكون مناسبة خاصة تماماً وان على من يحضرون الجنازة عدم ارتداء الوشاح او المعاطف الفضفاضة او ربطات العنق السوداء او اربطة القبعات أو أي من تلك الامور العبثية. كما اناشد اصدقائي بالا يقيموا لي اي نصب او مبنى تذكاري او تأبين باعتراف بالجميل مهما كان بل كل ما اطلبه ذكرى بلادي لاعمالي التي نشرتها».

بيد ان التايمز لم تلتزم بذلك فقد اكدت في احدى افتتاحياتها ان ديكنز يستحق ان تقام له مراسم جنازة كاملة في ويستمنستر آبي. وقد دفن بهذه المراسم في ركن الشعراء في 14 يونيو 1870.

أسفار

مسلسل عمر(1): رفضته وتابعته وهذه أسبابي!

سيستغرب كل من يتابعني على موقع تويتر عندما يعرف الآن أنني لم أكن لأوافق على تصوير مسلسل «عمر» بهذا الشكل الذي ظهر عليه في رمضان المنصرم لو كان الأمر بيدي. فقد كان هؤلاء المتابعون شهودا علي وانا اتابع حلقات المسلسل ليلة بعد ليلة، وأكتب من عبارات الحوار الفخيمة التي ترد على ألسنة الشخصيات واعلق عليها بإعجاب من دون ان ابدي رفضي للمسلسل أو استجابتي لدعوات مقاطعته الضاغطة بقوة قبل وأثناء عرضه.

ولعل من المثير الآن أن أخبركم بأن تلك العبارات التي كنت أنتقيها من حوار المسلسل كل ليلة، وألاحظ أن الكثيرين كانوا يعيدون نشرها، هي أحد اسباب رفضي لتصوير المسلسل لو كنت أملك حق الرفض والموافقة عليه.

لقد كانت تلك العبارات تقريبا هي كل المسلسل، أو لعلها روحه السارية على مدى الحلقات التي جعلت المشاهدين يتعلقون بالشاشة منبهرين بفخامتها ومهارة الكاتب في انتقائها أحيانا من بطون الكتب العتيقة، وفي كتابتها بمحض إبداعه أحيانا أخرى.

لست مفتية لأفتي بالحِل والحرمة كم فعل الكثيرون، لا يملكون حق الفتوى مثلي أيضا.. فاختلفوا واتفقوا في كثير من الصخب، ولا غرو في ذلك فقد اختلف واتفق قبلهم ومعهم كثير من المفتين الذين يملكون ذلك الحق أيضا بالصخب نفسهالإعلامي العنيف

صحيح أنني استفتي قلبي عادة لكني أفعل ذلك في أمور تهمني أنا لا في أمور تهم الجميع، وفي المسألة الدينية لمسلسل عمر استفتيت قلبي أيضا وأقتنعت بفتواه تماما.. الا أن رفضي للمسلسل لا يتعلق بتلك الفتوى ولا بغيرها من الفتاوى التي انتشرت معه أو ضده.

ان ثلاثين حلقة تبدو قليلة عن مسلسل يتحدث عن حياة الخطاب رضي الله عنه، والتي كتبت فيها المجلدات الكثيرة ليس سردا لتلك السيرة وحسب، وإنما أيضا تحليلا لها، لكل المواقف التي مر بها صاحب السيرة قبل إسلامه وبعده. وقد أشفقت على كاتب السيناريو عند الاعلان عن هذا المسلسل قبل عدة شهور لأن الإحاطة الدرامية بسيرة زاخرة كسيرة الفاروق رضي الله عنه مهمة صعبة جدا، وتوقعت أن يحتشد المسلسل بتفاصيل تلك الشخصية بما لا يدع مجالا للمرور بغيرها الا على طريقة مرور الكرام، وبما يتجاوز مساحة الثلاثين حلقة، لكن الثلاثين حلقة التي عرضت فعلا بددت شفقتي تلك واستبدلت بها تساؤلات مازلت أبحث عن إجابات حولها؛ وأهمها:

أين عمر بن الخطاب في ذلك المسلسل الأول في التاريخ الذي يحمل اسمه؟

لماذا بدت مساحة دوره مساوية الا قليلا لمساحات الآخرين من مجايليه ورفاقه في الفعل والتاريخ، عموما يبقى إبداعا فنيا معهما كانت هويته الفكرية الدينية والتاريخية؟

أين هيبته التي ميزت شخصيته وجعلته أحد أهم الشخصيات القيادية في العالم؟

أين ملامح تلك الشخصية ذات النزعة البشرية التي يركز عليها كتاب ومخرجو الدراما الرفيعة عادة؟

أين تلك الهالة المهيبة التي غلفت ذلك الاسم الجليل طوال أربعة عشر قرنا من الزمان ووصلت إلينا تداولا ليس فقط عبر الحكايات المروية بل عن أحاديث نبوية شريفة ايضا؟

لماذا التركيز على تلك القصص ذات الطبيعة الاخلاقية العالية فيما يشبه المشاهد الفنية المصطنعة لاقناع المشاهد بها وكأن المسلسل يقدم كحجة للمختلفين حول تلك الشخصية تحديدا؟

أين تلك القصص والحوادث الاشكالية التي قرأنا منمنماتها الدقيقة والاختلافات حولها أيضا في كل الكتب التي تناولت سيرته أيضا؟

نعم.. ابهر مسلسل عمر كثيرين ممن وجدوا أنفسهم في ما يشبه المباراة بين طرفين من المؤيدين والمعارضين فانحازوا لخياراتهم الفكرية على حساب قناعاتهم الإبداعية أحيانا ، ولأنهم «غرباء» عن هذا النوع من الابداع التلفزيوني بحكم تلك التوجهات أحيانا أخرى.. فكانت النتيجة تلك المتابعة التشجيعية الحثيثة لذلك المسلسل الإشكالي فيما حوله أكثر مما فيه فعلا.وللحديث بقية.

(يتبع)

سعدية مفرح
saadiahmufarreh@

نص

رثاء الذكريات

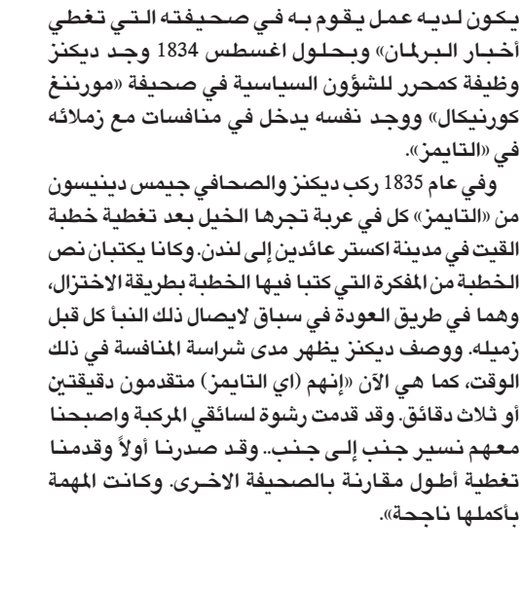

● لوحة للفنانة ساشا بوبر

ولست أذكر إلاكِ معمعة السؤالِ المرِّ
منساب الألمْ
ذكريات مؤلماتْ
من بين التفاصيل القتيلةِ
وانمحتْ
ولم تعدْ تحت الطلتْ!
مرجلا كانت فصادرها الغيابُ
ولم تعد كنز الكتابة والطربْ!
نحاولُ استرجاعها كي تقتل الأحزان فيها
فيقتلنا العصَبْ
نشقى من الألم الوجيبِ،
مرددا خفقَ العُصابِ
هي هكذا تحبو على أناتها،
تسقي سطورا في كتابْ!
لم يَبقَ لي منها سوى مر التذكر والعذابِ
مرتلاً في لحن جرحٍ فاغرٍ في الأسئلةْ
عتبت عليّ فجردتني من تحدُّر سيلها
وبأن لي في الغيب غيرَ طيوفها
فأدار لي قلبُ المحبِّ متونَ ألوان اللغةْ
وصرت عبئا جارحا، يسعى إلى نهل السرابْ!
جاءَ الجواب معاتبا تلو الجوابْ
لا ذكرياتٌ بيننا!
فاغتربنا عن شقاء الأخيلةْ
لتعود تحسو الكأس علقمة الشرابْ!
فلست ذاكرةً تربّعُ في جنوحي
ترسو في ارتيابْ!
جردتني كلَّ شيءْ
من سطوري الواهيةْ
من ذلك المكتوب
في سطرِ الغيابْ
ويقول فيه القلبُ كلَّ ما يبغيه،
أو يعنيه، أو يرديه، أو يشقيهْ
ضدَّ الليلِ والغربةْ
ضدّ الهجر والنكبةْ
ضدّ تشنُّج اللعبةْ!
وضدّ الذات تطحنها شقيات الحرابْ!
هِيَ لم تعدْ كما كانتْ تُطلّ على المساءِ
كزهر فُلْ
مصحوبا على صوتٍ من «الإحساسْ والطيبةْ»
مثلما صدح المغني في تلافيف السمرْ
هي لم تعدْ تحدو أغاني العشقِ
تبدلتْ ألحانها
لتموت ألحانٌ ويحضنها الخرابْ!
هي لم تعدْ ذكرى ككل الذكرياتْ
سفحت ورودي الحائراتْ
سمعت وساوس قاتلةْ
فأودعت تباريح الصّبا المشتاقِ
نوح الناعياتْ!
يا لتلك الذكرياتْ!
يا لتلك الأمنياتْ!
صورٌ وأسئلةٌ وبعض هوىً
وترديد الأغاني الهائماتْ
تبكي علينا كل صبح أو مساءٍ
في غيومٍ باكياتْ!
وتلبّستْ وتيبّست لغتي
على صهيل الموتِ تندبُ ما تلاشى
من غبار الذكرياتْ!
لم يبق لي مثلَ خلق الله ما تولد من جنونِ السردِ
في عزّ التوله من جميل الذكرياتْ!
هي قسوةٌ أنْ صادرَتني بعضَ روحي
كيْ أسافرَ في غيابي المرِّ
يقتلُ مهجتي ليلٌ طويلٌ جارحٌ وثّابْ!
أخَذتْ بقوتها الشفيفةِ كلَّ ماضٍ
وانتهى الشعرُ «مضحوكاً عليْهْ»
طفلا تداعبه الأماني الساذجاتْ!
أرثي البراءةَ ذكرياتٍ في تقاسيم
اللحون الكافراتْ
فعلا صليب الحبّ
مقتولا على خشب المواتْ!
كم كنت مرتابا!
وما نفع ارتيابي
بعد أن فات الفواتْ!

فراس حج محمد (*)

(*) شاعر فلسطيني